أسماء الله الحسنى

البَرُّ -جل جلاله-

الواحد والأربعون

إن أسماء الحسنى وصفاته العلى تبعث الأمن والطمأنينة في قلب العبد المؤمن، ومن هذه الأسماء الحسنى التي سمى الله بها نفسه اسم "الْبَرّ" -جَلَّ جَلَالُهُ وَتَقَدَّسَتْ أَسْمَاؤُهُ-، وقد ورد هذا الاسم مرة واحدة في سورة الطور مقترنا باسمه "الرحيم" في قوله تعالى: (إِنَّا كُنَّا مِنْ قَبْلُ نَدْعُوهُ إِنَّهُ هُوَ الْبَرُّ الرَّحِيمُ) [الطور: 28]، فَرَبُّنَا -تَبَارَكَ وَتَعَالَى- الْعَطُوفُ عَلَى عِبَادِهِ، الرَّحِيمُ الرَّفِيقُ بِهِمْ، الْمُصْلِحُ لِأَحْوَالِهِمْ، وَشُؤُونِهِمُ الدُّنْيَوِيَّةِ وَالشَّرْعِيَّةِ.

والبِرّ بكسر الباء يُطلق على فعل الخير والإحسان والطاعة، البِرّ: اسم جامع للطاعات وأعمال الخير المقربة إلى الله، وجامع لكل فعل أو قول أو خلق يحبه الله، والبَرُّ بالفتح هو المُحسن المكثر من فعل الخير، يقال: "فلانٌ بارٌ بوالديه" إذا كان محسناً لهما، ومن هذا الباب جاء وصف الزهاد والعباد بالأبرار في قوله تعالى: (وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ لِلْأَبْرَارِ) [آل عمران:198]، والبَرُّ أبلغ من البار، ولذلك يقال: "الله بر"، ولم يقل: "الله بار"، وقد جاء وصفاً في بر الأنبياء بوالديهم، قال الله عن يحيى عليه السلام: (وَبَرًّا بِوَالِدَيْهِ وَلَمْ يَكُنْ جَبَّارًا عَصِيًّا) [مريم:14]، وقال عن عيسى عليه السلام: (وَبَرًّا بِوَالِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا) [مريم:32].

وبِرّ الله بخلقه يعني تتابع إحسانه إليهم وإصلاح جميع أحوالهم، فالبَرّ سبحانه هو الذي لا ينقطع إحسانه عن خلقه، شمل الكائنات كلَّها ببره وإحسانه وكرمه، فهو مولى الجميل، ودائم الإحسان، وواسع المواهب.

" يَدُ اللهِ مَلأَى لَا تَغِيضُهَا نَفَقةٌ، سَحَّاءُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ، وَقَالَ: أَرَأَيْتُمْ مَا أَنْفَقَ مُنْذُ خَلَقَ السَّمَاءَ وَالأَرْضَ فَإِنَّهُ لَمْ يَغِضْ مَا فِي يَدِهِ" رواه البخاري.

وقَالَ الخَطَّابِيُّ: "(البَرُّ) هو العَطُوفُ عَلَى عِبَادِهِ، المُحْسِنُ إليهم، عَمَّ بِبِرِّهِ جَمِيعَ خَلْقِهِ، فَلَمْ يَبْخَلْ عليهم بِرِزْقِهِ، وهو البرُّ بأوليائه، إذ خصهم بولايته، واصطفاهم لعبادته، وهو البَرُّ بالمُحْسِنِ في مُضاعَفَتِهِ الثَّوابَ له، والبَرُّ بالمُسِيءِ في الصَّفْحِ والتَّجَاوُزِ عنه".

وقَالَ الحُلَيْمِيُّ: "(البَرُّ): الرَّفِيقُ بِعِبَادِهِ، يُرِيدُ بهم اليُسْرَ، ولا يُرِيدُ بهم العُسْرَ، ويَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ مِنْ سَيِّئَاتِهِم، ولا يُؤَاخِذُهم بجَمِيعِ جِنَايَاتِهِم، ويَجْزِيهم بالحَسَنَةِ عَشْرَ أَمْثَالِها، ولا يَجْزِيهم بالسَّيِّئَةِ إلَّا مِثْلَها، ويَكْتُبُ لَهُم الهَمَّ بالحَسَنَةِ، ولا يَكْتُبُ عليهمُ الهَمَّ بالسَّيِّئَةِ".

وتتابع إحسانه وإنعامه سبحانه هو أثر من آثار رحمته الواسعة التي غمرت الوجود، وتقلب فيها كلُّ موجود، ولذا فاقتران "البر" بـ "الرحيم" لعله من اقتران المسبَّب بالسبب، وتقديم " البَرُّ" على "الرحيم" أبلغ في المدح، والثناء بالترقي من الأخص إلى الأعم، ومن المسبَّب إلى السبب.

قال ابن القيم:

وَالْبِرُّ فِي أَوْصَافِهِ سُبْحَانَهُ *** هُوَ كَثْرَةُ الْخَيْرَاتِ وَالْإِحْسَانِ

صَدَرَتْ عَنِ الْبِرِّ الَّذِي هُوَ وَصْفُهُ *** فَالْبِرُّ حِينَئِذٍ لَهُ نَوْعَانِ

وَصْفٌ وَفِعْلٌ، فَهْوَ بَرٌّ مُحْسِنٌ *** مُولِي الْجَمِيلِ وَدَائِمُ الْإِحْسَانِ

إذا تأملنا هذا الاسم الإلهي العظيم ودلالاته، تبيّن لنا أن برّه سبحانه بخلقه على نوعين:

النوع الأول: البرّ العام: وهو الإحسان الإلهي العام الذي وسع الخلائق كلّها في البرّ والبحر، والسماوات والأرض، وما من مخلوقٍ إلا وقد أسبغ الله عليه من برّه وإحسانه ونعمه ظاهراً وباطناً، فهيّأ له رزقه وقوته، وكساه الجمال وأحسن خلقه، وأعطاه ما ينفعه ودفع عنه ما يضرّه، بحسب ما تقتضيه حكمته سبحانه، وفي دعاء الملائكة: (رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَحْمَةً) [غافر:7].

عالم بأحوال الخليقة على تفرقهم، وكثرتهم، وكثرة حاجاتهم، وكثرة مطالبهم، ومع ذلك يوصل إليهم أنواع الإحسان، والبر، كما أنه عالم بذنوبهم، ومعاصيهم، وخفاياهم، وخباياهم، ومع ذلك وسع كل شيء رحمة، وعلماً.

يعلم خفايا الأشياء، يعلم كيد الكائدين، ومكر الماكرين، يعلم إجرام المجرمين، يعلم ذنوب الخلوات، ويعلم ما تكنه الصدور، ومع ذلك وسع كل شيء رحمة، مع أنه وسع كل شيء علماً، فالله -عز وجل- يقول: (وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ) [الأعراف:156]، (وَمَا بِكُمْ مِنْ نِعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْأَرُونَ) [النحل:53].

تلجئون إليه فهو الملجأ في جميع الحاجات، والمطالب، وإليه المفر من جميع المخاوف، وهذا يكون لأهل الأرض، والسماء، ويكون أيضاً لأهل البر، والفجور، ولا يستغني أحد عن ألطافه، وبره، ورحماته -تبارك وتعالى-.

اللهُ تَبَارَكَ وتَعَالَى بَرٌّ رَحِيمٌ بِعِبَادِهِ، عَطُوفٌ عَلَيْهِم، مُحْسِنٌ إليهم، مُصْلِحٌ لأَحْوَالِهِم في الدُّنْيَا والدِّينِ.

أَمَّا في الدُّنْيَا فَمَا أَعْطَاهُم وقَسَمَ لهم مِنَ الصِّحَّةِ والقُوَّةِ والمَالِ والجَاهِ والأولادِ والأنْصَارِ، مِمَّا يَخْرُجُ عنِ الحَصْرِ، قَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا﴾ [إبراهيم: 34]، فَيَدْخُلُ في ذلك كُلُّ مَعْرُوفٍ وإحْسَانٍ؛ لأنَّها تَرْجِعُ إلى البِرِّ. ويَشْتَرِكُ في ذلك المُؤْمِنُ والكَافِرُ.

النوع الثاني: البرّ الخاص: وهو ما خصّ به المؤمنين المتقين دون غيرهم، فحبب إليهم الإيمان وزينه في قلوبهم، وتولاهم بولايته وأحاطهم بعنايته؛ فشرح صدورهم لطاعته، وأوزعهم شكر نعمته، ورزقهم الأمن والطمأنينة النفسيّة، قال تعالى: (وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ) [الأعراف:156].

فهذا النوع خاص في الدِّينِ فَمَا مَنَّ بِهِ عَلَى المُؤْمِنِينَ مِنَ التَّوْفِيقِ للإِيمَانِ والطَّاعَاتِ، ثُمَّ إعْطَائِهِم الثَّوَابَ الجَزِيلَ عَلَى ذلك في الدُّنْيَا والآخِرَةِ، فهو الذي وَفَّقَ وأَعَانَ أَوَّلًا، وأَثَابَ وأَعْطَى آخِرًا.

قال ابن القيم: فهذه الألطاف، هذه الخيرات، هذا التوفيق، البر الخاص بأهل الإيمان في الدنيا، التوفيق للإيمان، التوفيق للعمل الصالح، الاصطفاء، والاجتباء، الذين يجتبيهم ربهم -تبارك وتعالى- يوفقهم للتوبة، يهديهم لصالح الأعمال، يعينهم عليها، كل ذلك من بره بهم، يدلهم على

العمل الصالح، يرشدهم إليه، ويوفقهم لفعله، ثم بعد ذلك يتقبله منهم، ويعطيهم عليه الجزاء الأوفى، الحسنة بعشر أمثالها.

❁فَمِنْهُ الإيجَادُ، ومِنْهُ الإعْدَادُ، ومِنْهُ الإمْدَادُ، فَلَهُ الحَمْدُ في الأولَى والمَعَادِ.

⇦فَاللَّهُ -تَبَارَكَ وَتَعَالَى- هُوَ الْبَرُّ بِعِبَادِهِ، يُوسِعُهُمْ خَيْرًا وَكَرَمًا وَفَضْلًا وَشُكْرًا وَإِجَابَةً؛ (وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً) [لُقْمَانَ: 20].

🗐يَقُولُ عَوْنُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُتْبَةَ: "الْخَيْرُ مِنَ اللَّهِ كَثِيرٌ؛ وَلَكِنْ لَا يُبْصِرُهُ مِنَ النَّاسِ إِلَّا الْيَسِيرُ، وَهُوَ لِلنَّاسِ مِنَ اللَّهِ مَعْرُوضٌ؛ وَلَكِنْ لَا يُبْصِرُهُ مِنَ النَّاسِ مَنْ لَا يَنْظُرُ إِلَيْهِ، وَلَا يَجِدُهُ مَنْ لَا يَبْتَغِيهِ، وَلَا يَسْتَوْجِبُهُ مَنْ لَا يَعْلَمُ بِهِ... أَلَمْ تَرَوْا إِلَى كَثْرَةِ نُجُومِ السَّمَاءِ؟ فَإِنَّهُ لَا يَهْتَدِي بِهَا إِلَّا الْعُلَمَاءُ".

⇦سَخَّرَ اللَّهُ -تَبَارَكَ وَتَعَالَى- الْكَوْنَ لِهَذَا الْمَخْلُوقِ الضَّعِيفِ، قال -عز وجل- (وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا) [الْإِسْرَاءِ: 70]

🗁فَسُبْحَانَ مَنْ أَلْبَسَهُ خِلَعَ الكَرَامَةِ كُلِّها مِنَ العَقْلِ والعِلْمِ والبَيَانِ والنُّطْقِ، والشَّكْلِ والصُّورَةِ الحَسَنَةِ والهَيْئَةِ الشَّرِيفَةِ والقَدِّ المُعْتَدِلِ، واكْتِسَابِ العُلُومِ بالاسْتِدْلَالِ والفِكْرِ، واقْتِنَاصِ الأَخْلَاقِ الشَّرِيفَةِ الفَاضِلَةِ مِنَ البِرِّ والطَّاعَةِ والانْقِيَادِ، فَكَمْ بَيْنَ حَالِهِ وهو نُطْفَةٌ في دَاخِلِ الرَّحِمِ مُسْتَوْدَعٌ هُنَاكَ وبَيْنَ حَالِهِ والمَلَكُ يَدْخُلُ عَلَيهِ في جَنَّاتِ عَدْنٍ؛ ﴿ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ ﴾ [المؤمنون: 14]، فالدُّنْيَا قَرِيَةٌ، والمُؤْمِنُ رَئِيسُها، والكُلُّ مَشْغُولٌ بِهِ، سَاعٍ في مَصَالِحِهِ، والكُلُّ قَدْ أُقِيمَ في خِدْمَتِهِ وحَوَائِجِهِ، فَالمَلَائِكَةُ الذين هُمْ حَمَلَةُ عَرْشِ الرَّحْمَنِ ومَنْ حَوْلَه يَسْتَغْفِرُونَ لَهُ، والمَلَائِكَةُ المُوَكَّلُونَ بِهِ يَحْفَظُونَهُ، والمُوَكَّلُونَ بِالقَطْرِ والنَّبَاتِ يَسْعَونَ في رِزْقِهِ ويَعْمَلُون فِيهِ، والأَفْلَاكُ سُخِّرَتْ مُنْقَادَةً دَائِرَةً بِمَا فِيهِ مَصَالِحُهُ، والشَّمْسُ والقَمَرُ والنُّجُومُ مُسَخَّرَاتٌ جَارِيَاتٌ بِحِسَابِ أَزْمِنَتِهِ وأَوْقَاتِهِ، وإصْلَاحِ رَوَاتِبِ أَقْوَاتِهِ، والعَالَمُ الجَوِّيُّ مُسَخَّرٌ لَهُ بِرِيَاحِهِ وهَوَائِهِ وسَحَابِهِ وطَيْرِهِ، ومَا أَوْدَعَ فِيهِ، والعَالَمُ السُّفْلِيُّ كُلُّهُ مُسَخَّرٌ لَه مَخْلُوقٌ لِمَصَالِحِهِ أَرْضُهُ وجِبَالُهُ وبِحَارُهُ وأَنْهَارُهُ وأَشْجَارُهُ وثِمَارُهُ ونَبَاتُهُ وحَيَوَانُهُ وكُلُّ ما فِيهِ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: (اللَّهُ الَّذِي سَخَّرَ لَكُمُ الْبَحْرَ لِتَجْرِيَ الْفُلْكُ فِيهِ بِأَمْرِهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ)[الْجَاثِيَةِ: 12].

❁ومن البر الخاص: أن يَسَّرَ لَكَ الطَّرِيقَ إِلَيْهِ؛ فَيَسَّرَ شَرِيعَتَهُ عَلَيْكَ، وَجَعَلَهَا سَمْحَةً، وَنَفَى عَنْهَا الْحَرَجَ، وَلَمْ يُكَلِّفْكَ مَا لَا تُطِيقُ؛ (مَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ) [الْحَجِّ: 78]، (لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا) [الْبَقَرَةِ: 286]، (وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ) [الْقَمَرِ: 17]

❁ومن بره سبحانه بالمؤمنين: مُضَاعَفَةَ الثَّوَابِ لَهُمْ، وَهُنَاكَ الْكَثِيرُ مِنَ الأُمُورِ الْيَسِيرَةِ الَّتِي يَفْعَلُهَا الْعَبْدُ؛ فَيُضَاعِفُ اللهُ لَهُ الثَّوابَ عَشَرَاتِ بَلْ آلَافَ الأَضْعَافِ، مِنْ ذَلِكَ: الصَّلَاةُ فِي الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ، قَالَ -صَلَّى اللهُ عليهِ وَسَلَّمَ-: "صَلَاةٌ فِي مَسْجِدِي أَفْضَلُ مِنْ أَلْفِ صَلَاةٍ فِيمَا سِوَاهُ إِلَّا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ، وَصَلَاةٌ فِي الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ أَفْضَلُ مِنْ مِائَةِ أَلْفِ صَلَاةٍ فِيمَا سِوَاهُ" (رَوَاهُ أَحْمَدُ وَغَيْرُهُ بِسَنَدٍ صَحِيحٍ).

❁ومن بره سبحانه بالمؤمنين: ما يهبهم من الأزمنة المباركة التي تتضاعف فيها الأجور، وتُكَفَّر فيها السيئات، فهذه لَيْلَة الْقَدْرِ العمل فيها يفضل عن عَمَلِ أَلْفِ شَهْرٍ، قَالَ تعالى: (لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ) [القدر: 3]، بَلْ وَمَنْ قَامَهَا إِيمَانًا وَاِحْتِسَابًا غَفَرَ اللهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ كما صح عن النبي عليه الصلاة والسلام، فَتِلْكَ الذُّنُوبُ الْمُتَرَاكِمَةُ، وَالْمَعَاصِي الْمُتَتَابِعَةُ؛ يَغْفِرُهَا اللهُ بِقِيَامِ لَيْلَةٍ وَاحِدَةٍ.

❁وَالْأَذْكَارُ بَابٌ عَظِيمٌ يَفْتَحُهُ الْبَرُّ الرَّحِيمُ لِعِبَادِهِ؛ لِيُضَاعِفَ لَهُمُ الْأُجُورَ والحسنات، فَانْظُرُوا إِلَى هَذِهِ الأَذْكَارِ الْيَسِيرَةِ بِأَعْدَادٍ مَحْصُورَةٍ تَرَتَّبَتْ عَلَيْهَا أُجُورٌ عَظِيمَةٌ، مِنْ ذَلِكَ: قَالَ صَلَّى اللهُ عليهِ وَسَلَّمَ: "مَنْ قَالَ: رَضِيتُ بِاللهِ رَبًّا، وَبِالْإِسْلَامِ دِينًا، وَبِمُحَمَّدٍ رَسُولًا، وَجَبَتْ لَهُ الْجَنَّةُ" (رَوَاهُ أَبُو دَاودَ بِسَنَدٍ صَحِيحٍ)، وَقَالَ صَلَّى اللهُ عليهِ وَسَلَّمَ: "مَنْ سَبَّحَ اللهَ فِي دُبُرِ كُلِّ صَلَاةٍ ثَلَاثًا وَثَلَاثِينَ، وَحَمِدَ اللهَ ثَلَاثًا وَثَلَاثِينَ، وَكَبَّرَ اللهَ ثَلَاثًا وَثَلَاثِينَ، فَتِلْكَ تِسْعَةٌ وَتِسْعُونَ، وَقَالَ: تَمَامَ الْمِائَةِ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ؛ غُفِرَتْ خَطَايَاهُ وَإِنْ كَانَتْ مِثْلَ زَبَدِ الْبَحْرِ" (رَوَاهُ مُسْلِمٌ)، وَقَالَ: "مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ يَتَوَضَّأُ فَيُسْبِغُ الْوَضُوءَ ثُمَّ يَقُولُ: أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُ اللهِ وَرَسُولُهُ؛ إِلَّا فُتِحَتْ لَهُ أَبْوَابُ الْجَنَّةِ الثَّمَانِيَةُ يَدْخُلُ مِنْ أَيِّهَا شَاءَ". (رَوَاهُ مُسْلِمٌ).

وهكذا من تتبع الأعمال الصالحة يجد كرم الله وبره بالمؤمنين ليس له حد ولا عد، فمَا أَلْطَفَ اللهَ! وَمَا أَبَرَّهُ! وَمَا أَكْرَمَهُ! بل بلغ بِرُّ الرب بأوليائه في الدنيا أن لو أقسم عليه أحدهم للبى له طلبه قال النَّبِيُّ -ﷺ-: "إِنَّ مِنْ عِبَادِ اللهِ مَنْ لَوْ أَقْسَمَ عَلَى اللهِ لَأَبَرَّهُ". (البخاري).

ولاسم الله "البَر" آثار إيمانية ينبغي أن تنعكس على حياة المؤمن منها:

❶إدراك أن الخالق سبحانه وتعالى يريد بعباده اليسر ولا يريد بهم العسر ورفع عنهم الحرج: (يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ) [البقرة:185]، ومن التيسير الحاصل لهم مجازاتهم بالعمل اليسير الأجر الكثير، وإثابتهم بمجرّد النيّة الصالحة، وغفران السيئات ومحوها بالأعمال الصالحات، قَالَ النَّبِيُّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- فِيهِ: "إِنَّ اللهَ كَتَبَ الْحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ، ثُمَّ بَيَّنَ ذَلِكَ؛ فَمَنْ هَمَّ بِحَسَنَةٍ فَلَمْ يَعْمَلْهَا؛ كَتَبَهَا اللهُ عِنْدَهُ حَسَنَةً كَامِلَةً، وَإِنْ هَمَّ بِهَا فَعَمِلَهَا؛ كَتَبَهَا اللهُ عِنْدَهُ عَشْرَ حَسَنَاتٍ، إِلَى سَبْعِمِائَةِ ضِعْفٍ، إِلَى أَضْعَافٍ كَثِيرَةٍ. وَإِنْ هَمَّ بِسَيِّئَةٍ فَلَمْ يَعْمَلْهَا؛ كَتَبَهَا اللهُ عِنْدَهُ حَسَنَةً كَامِلَةً، وَإِنْ هَمَّ بِهَا فَعَمِلَهَا؛ كَتَبَهَا اللهُ سَيِّئَةً وَاحِدَةً"(أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ). (إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ ذَلِكَ ذِكْرَى لِلذَّاكِرِينَ) [هود:114]. مِنْ بِرِّهِ يَتَقَبَّلُ الْقَلِيلَ، وَيُثِيبُ عَلَيْهِ الْكَثِيرَ، وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ مِنَ السَّيِّئَاتِ.

❍الله يكرم عباده ويكتب لهم أجر العمل إذا عملوه، ويقبل منهم العذر الذي حال دون هذا العمل فلم يعملوه، فإذا نام عن الصلاة من غير تفريط فإن ذلك يكتب له، ويُجرَى له من عمله كما كان سواء كان ذلك في الفرائض، أو كان في النوافل، (مَنْ نَامَ عَنْ صَلاةٍ أَوْ نَسِيَهَا فَلْيُصَلِّهَا إِذَا ذَكَرَهَا)، وكذلك المريض الذي يعجز عن العمل يكتب له أجره كاملاً الذي كان يعمله وهو صحيح، وكذا المسافر يكتب له ما كان يعمله وهو مقيم.

❍بينما نحن في تعاملاتنا مع المخلوقين حينما يتخلف هذا الذي قد غلبته عيناه عن الاختبار، فهنا لا يقبل منه مثل هذا العذر، أن يقال: غلبتني عيني، نمت، أو نحو هذا، بل يطالب بأصعب المطالبات، أن يأتي بنوع من الأعذار، يتعذر تحقيقه على أكثر الناس.

❍أما الله -تبارك وتعالى- فإنه يجري لهم هذا العمل، ويقبل منهم هذه الأعذار، وإذا خرج العبد إلى المسجد من غير تفريط، توضأ، ثم خرج إلى المسجد، فوجد الناس قد صلوا كتب له مثل أجرهم، هكذا يعامل الله -تبارك وتعالى- عباده، وهذا كله من بره وخيره، ونفعه الواصل إلى هؤلاء العباد، (إِنَّهُ هُوَ الْبَرُّ الرَّحِيمُ) [الطور:28]

❷ إمهال الخالق للمذنبين وستره لعيوبهم وقبول توبتهم ، قال تعالى: (وَرَبُّكَ الْغَفُورُ ذُو الرَّحْمَةِ لَوْ يُؤَاخِذُهُمْ بِمَا كَسَبُوا لَعَجَّلَ لَهُمُ الْعَذَابَ) [الكهف:58]، فينبغي على العبد أن يعرف بره سبحانه في ستره عليه حال ارتكاب المعصية، مع كمال رؤيته له، ولو شاء لفضحه بين خلقه، بَلْ الأعظم من ذلك أن فَتَحَ لَكَ أَبْوَابَ التَّوْبَةِ؛ (يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ)[الزُّمَر: 53]، وَصَحَّ عَنْهُ -ﷺ- أَنَّهُ قَالَ: "قَالَ اللَّهُ -تَبَارَكَ وَتَعَالَى-: يَا ابْنَ آدَمَ إِنَّكَ مَا دَعَوْتَنِي وَرَجَوْتَنِي غَفَرْتُ لَكَ عَلَى مَا كَانَ مِنْكَ وَلَا أُبَالِي. يَا ابْنَ آدَمَ، لَوْ بَلَغَتْ ذُنُوبُكَ عَنَانَ السَّمَاءِ ثُمَّ اسْتَغْفَرْتَنِي غَفَرْتُ لَكَ وَلَا أُبَالِي. يَا ابْنَ آدَمَ، إِنَّكَ لَوْ أَتَيْتَنِي بِقُرَابِ الْأَرْضِ خَطَايَا ثُمَّ لَقِيتَنِي لَا تُشْرِكُ بِي شَيْئًا لَأَتَيْتُكَ بِقُرَابِهَا مَغْفِرَةً"(حَدِيثٌ صَحِيحٌ، رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ).

⇦وَمَعَ عَظِيمِ بِرِّهِ بِعِبَادِهِ: أَنَّهُ -تَبَارَكَ وَتَعَالَى- -مَعَ كَمَالِ غِنَاهُ-: يَفْرَحُ بِتَوْبَةِ التَّائِبِينَ وَإِنَابَةِ الْمُنِيبِينَ، جَاءَ فِي الصَّحِيحَيْنِ عَنْهُ -ﷺ- أَنَّهُ قَالَ: "لَلَّهُ أَشَدُّ فَرَحًا بِتَوْبَةِ عَبْدِهِ حِينَ يَتُوبُ إِلَيْهِ مِنْ أَحَدِكُمْ كَانَ عَلَى رَاحِلَتِهِ بِأَرْضٍ فَلَاةٍ، فَانْفَلَتَتْ مِنْهُ وَعَلَيْهَا طَعَامُهُ وَشَرَابُهُ، فَأَيِسَ مِنْهَا. فَأَتَى شَجَرَةً، فَاضْطَجَعَ فِي ظِلِّهَا، قَدْ أَيِسَ مِنْ رَاحِلَتِهِ، فَبَيْنَا هُوَ كَذَلِكَ؛ إِذَا هُوَ بِهَا، قَائِمَةً عِنْدَهُ، فَأَخَذَ بِخِطَامِهَا، ثُمَّ قَالَ مِنْ شِدَّةِ الْفَرَحِ: اللَّهُمَّ أَنْتَ عَبْدِي وَأَنَا رَبُّكَ، أَخْطَأَ مِنْ شِدَّةِ الْفَرَحِ"(هَذَا لَفْظُ مُسْلِمٍ).

❍وإذا تاب العبد من ذنبه فإن صحيفته تعود من جديد بيضاء، ليس فيها شيء.

المخلوقون ممن نخالطهم، ونعافسهم، ونشاكلهم، لربما من القرابات، وغيرهم، وهكذا أيضاً ممن له شأن، وخطب، أو ممن لا شأن له، لربما لا يتجاوز عن الإساءة، وتبقى هذه محفوظة للإنسان، تلاحقه، سوابق، إلى أن يموت، ولربما لاحقته بعد موته، فالمخلوق يحفظ الإساءة، ولكن الله -تبارك وتعالى- يرغِّب عباده بالتوبة، والرجوع، ويوفقهم لها، فإذا تاب العبد وأناب محيت عنه هذه السيئة، وكان في محل ذلك وفي مقابله الحسنة، (فَأُولَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ) [الفرقان:70].

لَكَ الْحَمْدُ حَمْدًا نَسْتَلِذُّ بِهِ ذِكْرَا *** وَإِنْ كُنْتُ لَا أُحْصِي ثَنَاءً وَلَا شُكْرَا

لَكَ الْحَمْدُ حَمْدًا طَيِّبًا يَمْلَأُ السَّمَا *** وَأَقْطَارَهَا وَالْأَرْضَ وَالْبَرَّ وَالْبَحْرَا

إِلَهِي تَغَمَّدْنِي بِرَحْمَتِكَ الَّتِي *** وَسِعَتْ وَأَوْسَعْتَ الْبَرَايَا بِهَا بِرًّا

❸ومن الآثار الإيمانية لاسم الله "البر": أن المؤمن مع ما يرى من منة البر سبحانه عليه وكثرة فضائله لديه إلا أن ذلك لا يؤمِّنه من عذابه، ولا يقطع عليه الوعد أنه من الناجين من النار بل يشفق أن يكون من أهلها، فذلك الإشفاق كان سببا في عتقهم من النار، فالله أخبر عن نجاتهم منها ولم يذكر من أعمالهم إلا الخوف والدعاء، فتأمل ذلك في قوله تعالى: (وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ * قَالُوا إِنَّا كُنَّا قَبْلُ فِي أَهْلِنَا مُشْفِقِينَ * فَمَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا وَوَقَانَا عَذَابَ السَّمُومِ * إِنَّا كُنَّا مِنْ قَبْلُ نَدْعُوهُ إِنَّهُ هُوَ الْبَرُّ الرَّحِيمُ) [الطور:2528].

❹ومن الآثار الإيمانية لاسم الله "البر": أنه سبحانه يأمر بالبر ويحب البررة، فليعرض العبد أحواله على خصال البر، قال تعالى: (لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ) [البقرة: 177].

❍ومن أعظم البر الذي حث الله عليه عباده بر العبد بوالديه، ومن أراد برَّ ربه به فليقم علاقته مع والديه على ما يرضي ربه عنه، فرضى الله في رضاهما وسخطه في سخطهما، كما ويسعى المسلم جاهدا أن تكون أعماله كلها مبرورة، فالله بر يحب البر ويكرّم الأبرار، فهذا الذي يزكّي له عمله ويضاعف له أجره، فالحج المبرور ليس له جزاء إلا الجنة.

❍لَنْ يَنَالَ العَبْدُ برَّ اللهِ تَعَالَى بهِ في الآخِرَةِ إلا باتِّبَاعِ ما يُفْضِي إلى برِّه ومَرْضَاتِهِ ورَحْمَتِهِ، قَالَ تَعَالَى: ﴿لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ﴾ [آل عمران: 92]. وقَدْ فُسِّرَ (البِرَّ) في هذه الآيةِ بالجَنَّةِ، وثَوَابِ اللهِ تَعَالَى.

📋قَالَ ابنُ جَرِيرٍ: "لَنْ تُدْرِكُوا أَيُّها المُؤْمِنُونَ (البِرَّ)، وهو البِرُّ مِنَ اللهِ الذي يَطْلُبُونَهُ مِنْهُ بِطَاعَتِهم إياه، وعِبَادَتِهم لَهُ، ويَرْجُونَهُ مِنْهُ، وذلك تَفَضُّلُهُ عَلَيهم بإدْخَالِهم جَنَّتَهُ، وصَرْفِ عَذَابِهِ عَنْهم، ولذلك قَالَ كَثِيرٌ مِنْ أَهْلِ التَّأْوِيلِ: البِرُّ: الجَنَّةُ؛ لأنَّ بِرَّ الرَّبِّ بِعَبْدِهِ في الآخِرَةِ، وإكْرَامَهَ إياه بإدْخَالِهِ الجَنَّةَ"

ومِمَّا يَدْخُلُ في هذا المَعْنَى قَوْلُه صلى الله عليه وسلم: "إنَّ الصِّدْقَ يَهْدِي إلى البِرِّ، وإنَّ البِرَّ يَهْدِي إلى الجَنَّةِ، وإنَّ الرَّجُلَ لَيَصْدُقُ حَتَّى يُكْتَبَ صِدِّيقًا" أخرجهُ البخاريُّ ومسلمُ

📋قَالَ الحَافِظُ ابنُ حَجَرٍ: "البِرُّ أَصْلُه التَّوَسُّعُ في فِعْلِ الخَيْرِ، وهو اسْمٌ جَامِعٌ للخَيْرَاتِ كُلِّها، ويُطْلَقُ عَلَى العَمَلِ الخَالِصِ الدَّائِمِ"[الفتحُ (10/ 508).].

✉قال ابن القيم: "لا تَظُنَّ أَنَّ قَوْلَه تَعَالَى: ﴿إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ * وَإِنَّ الْفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ﴾ [الانفطار: 13، 14] مُخْتَصٌّ بِيَوْمِ المَعَادِ، بَلْ هَؤُلَاءِ في نَعِيمٍ في دُورِهمُ الثَّلَاثَةِ، وهَؤُلَاءِ في جَحِيمٍ في دُورِهمُ الثَّلَاثَةِ. وأَيُّ لَذَّةٍ وأَيُّ نَعِيمٍ في الدُّنْيَا أَطْيَبُ مِنْ بِرِّ القَلْبِ، وسَلَامَةِ الصَّدْرِ، ومَعْرِفَةِ الرَّبِّ تَبَارَكَ وتَعَالَى ومَحَبَّتِهِ، والعَمَلِ عَلَى مُوَافَقَتِهِ؟ وهَلِ العَيْشُ في الحَقِيقَةِ إلا عَيْشُ القَلْبِ السَّلِيمِ؟ فَهَذَا القَلْبُ السَّلِيمُ في جَنَّةٍ مُعَجَّلَةٍ في الدُّنْيَا، وفي جَنَّةٍ في البَرْزَخِ، وفي جَنَّةٍ يَوْمِ المَعَادِ"

📋قَالَ قَتَادَةُ: "لَنْ تَنَالُوا بِرَّ رَبِّكم حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا يُعْجِبُكم، ومِمَّا تَهْوَوْنَ مِنْ أَمْوَالِكم".

❍ومن أراد أن يحوزَ على البِرِّ كله فليحسن معاملته للآخرين، روى مسلم من حديث النَوَّاس رضي الله عنه أنه قال: "سألت رسول اللهِ -ﷺ-عن البر، فقال: "الْبِرُّ حُسْنُ الْخُلُقِ".

❺ومن الآثار الإيمانية لاسم الله "البر": كثرة التضرع ودعاء الله تعالى، فقد ورد هذا الاسم في تذكر أهل الجنة ما كانوا عليه في الدنيا من الخوف من ربهم ودعائه سبحانه (إِنَّا كُنَّا مِنْ قَبْلُ نَدْعُوهُ إِنَّهُ هُوَ الْبَرُّ الرَّحِيمُ).

✉لماذا يدعو أهل الجنة ربهم سبحانه وتعالى بالبر الرحيم؟ عند دخول أهل الجنة في الجنة تختلف مراتبهم ومنازلهم ودرجاتهم ونعيمهم بحسب أعمالهم وحسناتهم ورحمة الله وفضله عليهم هناك يشتاق بعضهم إلى ذريته الصالحة الذين دخلوا الجنة ولكن بسبب اختلاف الدرجات في الجنة لم يتمكنوا من الجلوس معهم وتبادل الحديث فيعلم ربهم سبحانه وتعالى ذلك فيمن عليهم برحمته وفضله وبره فيلحق بهم ذريتهم رغم أن أعمالهم قد لا تصل إلى هذه الدرجات والمنازل العالية وذلك لتقر أعينهم بالجلوس مع آبائهم وذرياتهم في الجنة فيفرح أهل الجنة بهذا الفضل جعلنا الله منهم ويثنون على الله ويدعونه باسم البر، (وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَا أَلَتْنَاهُمْ مِنْ عَمَلِهِمْ مِنْ شَيْءٍ كُلُّ امْرِئٍ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ * وَأَمْدَدْنَاهُمْ بِفَاكِهَةٍ وَلَحْمٍ مِمَّا يَشْتَهُونَ * يَتَنَازَعُونَ فِيهَا كَأْسًا لَا لَغْوٌ فِيهَا وَلَا تَأْثِيمٌ *وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ غِلْمَانٌ لَهُمْ كَأَنَّهُمْ لُؤْلُؤٌ مَكْنُونٌ * وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ * قَالُوا إِنَّا كُنَّا قَبْلُ فِي أَهْلِنَا مُشْفِقِينَ* فَمَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا وَوَقَانَا عَذَابَ السَّمُومِ* إِنَّا كُنَّا مِنْ قَبْلُ نَدْعُوهُ إِنَّهُ هُوَ الْبَرُّ الرَّحِيمُ) [الطور 21:28].

⇦فأكثر الناس معرفة باسم الله تعالى (البر)هم أهل الجنة لأنهم يعيشون أسمى وأعلى درجات البر من البر سبحانه وتعالى ويعرفون حقاً ما أعد لهم من فضله وإحسانه وكرمه وامتنانه ورحمته ولطفه بعباده.

❍ولن يبلغ العبد البر الذي يريده مولاه إلا إذا تضرع إليه سبحانه أن ينيله الله البر ويرزقه إياه، ولهذا كان من أدعية النبي -ﷺ- في سفره: "سُبْحَانَ الذي سَخَّرَ لَنَا هَذَا وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ وَإِنَّا إِلَى رَبِّنَا لَمُنْقَلِبُونَ، اللهُمَّ إِنَّا نَسْأَلُكَ في سَفَرِنَا هَذَا الْبِرَّ وَالتَّقْوَى وَمِنَ الْعَمَلِ مَا تَرْضَى" (رواه مسلم).

❻ومن الآثار الإيمانية لاسم الله "البر": أن معرفة الله بهذا الاسم تؤدي إلى الاشتياق إلى ما وعد الله به الأبرار من النعيم المقيم، قال البر تعالى: (لَكِنِ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا نُزُلًا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ لِلْأَبْرَارِ) [آل عمران:198]، وقال: (إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ * عَلَى الْأَرَائِكِ يَنْظُرُونَ * تَعْرِفُ فِي وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ النَّعِيمِ * يُسْقَوْنَ مِنْ رَحِيقٍ مَخْتُومٍ * خِتَامُهُ مِسْكٌ وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ) [المطففين:2226].

فما أحوجنا إلى العيش في ظلال اسم الله البر المشتمل على المعاني اللطيفة والثمار الجليلة؛ فالعاقل من أدرك حقيقة هذا الاسم ومعناه وبر ربه ومولاه.

المراجع:

❶معنى اسم الله البر: الشيخ وحيد عبد السلام بالي.

❷البر -جل جلاله-: د عبد الله بن مشبب القحطاني.

❸اسم الله البَر: ملتقى الخطباء - الفريق العلمي.